

المحاضرة الثالثة مقياس نقد المصادر افريقيا جنوب الصحراء

■ اما في المرحلة الثالثة و مع ظهور التواجد الأوروبي في القارة فان معظم تصوراتهم لإفريقيا انحصرت في فكرة ثابتة مفادها " انعدام التاريخ " خاصة منطقة جنوب الصحراء الكبرى و عليه فان الدراسات دخلت في اطار اختصاص العمل الاثري و اللغوي و الانثروبولوجي الا ان هذه العلوم من وجهة أخرى في بعدها المنهجي اعتمدت على تطبيق مبادئ علمية برهنت عن فعاليتها في أماكن معينة من العالم في دراسة الشعوب البدائية التي تقطن جزر البحر الهادي و شعوب غابات الامازون و غيرها من العوالم الجديدة او في تفضيل دراسة الشعوب من خلال تركتها الاثرية القديمة من خلال بنائها و كتاباتها القديمة على غرار الحضارة المصرية و لم ينجح هذا المنهج في افريقيا.

غير ان العمل الاثري اخذ منعطفًا حاسمًا في افريقيا خاصة في افريقيا الشرقية والجنوبية لما اهتم الأثريون بأصول الانسان خاصة مع اعمال ليكي ورايمون دارت عندما اكتشفوا أولى سلالات بشرية في القارة في موقع اومو بإثيوبيا لكنه و رغم ذلك فلم تسلم هذه المقاربة من الانتقادات بحكم انها تعرضت فقط على صيرورة هذه السلالات دون ربطها بتلك الشعوب الافريقية المعاصرة مما أدى الى الوصول الى مفارقات لا توضح علاقة هذه الحفريات بواقع مجتمعاتها الحاضرة. من جهة أخرى فقد لعبت كل من الدراسات اللغوية و الانثروبولوجية دورا حاسمًا في إرساء أولى معلومات جديدة بالنسبة لتاريخ الافارقة جنوب الصحراء خاصة و ان طبقة متخصصيها الاوروبيون قد وجدوا في الأرض الواقع حقلًا خصبا في تطوير تصوراتهم إزاء الثقافات الافريقية فادركوا ان هناك تواصل و استمرارية في عناصرها الثقافية منذ العهود القديمة فانتشرت تقاريرهم في مجالات عديدة من حياة الافارقة فكانت بمثابة نصوص استلهم منها النظم الاجتماعية و الثقافية للأفارقة و رغم ذلك فلم تخلو هذه التقارير هي الأخرى على مغالطات و خيمة بفعل النظرة الاستعمارية التي طغت في تلك الفترات على غرار راي سليجمان في كتابه "الاجناس في افريقيا" و الذي اعتبر مكوناتها الثقافية و الحضارة قد أتت من الخارج في خضم نظرية الأصول الحامية التي استمدت من التوراة و ان الانسان الافريقي لم يصنع ماضيه و مصيره بأيديه بل ارجع الفضل الى عناصر خارجية هي العناصر الحامية و قد سادت هذه النظرة منذ القرنين التاسع عشرة و القرن العشرين.

من تقديم يوغرطة حدادو

استاذ متخصص في فترات ما قبل التاريخ وتاريخ الحضارات القديمة